المطالع ماذا يمكنهُ ان يستخرج من هذا التركيب . وما نظن الا ان الكاتب احب ان ينسج على مثال قول القائل

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما تجيد العطـايا واللُهَى تفتح اللَهَا

اللُهى الاولى بالضم بمعنى العطايا والثانية بالفتح جمع لهَاة الفم واراد بها الافواه على تسمية الكل باسم الجزء فجآء بهذا اللغو الذي لا يفهمهُ انسٌ ولا جان

وآية الآيات في هذا الباب قول القائل

على مثلهِ القى الفخار « رحالهُ » ومَن غير نصر الله اولى بذا الفخرِ

فلم يزد على ان جعل ممدوحهُ بعيراً تُلقَى عليهِ الرحال ثم منّ عليهِ بان ذلك فخرٌ لا يحقّ لغيرهِ « من الرجال » ..... (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٦ —

ومن اعجب العجب ان المشترعين والمصلحين القدمآء مع كونهم افراداً وُجدوا قبل اوانهم وهم اكثر حكمةَ واسمى ادراكاً من العامةّ الضالة وقد ادّعى اكثرهم انهم مؤيدون بالوحي معزّزون بالالهام مسيّرون بالاوامر والمنـاهي العلوية قد جاروا مشارب رجال اعصارهم فجارُوا على المرأة ولم يعدلوا وسلكوا بما سنوا من الشرائع ووضعوا من النواميس مسلك من يريد الأَثرة للرجل في كل طورٍ من اطوار الحياة كانهم يريدون ان

يؤلفوا قلوب الرجال فاستمالوهم بذلك الى اتّباعهم والاعتقاد بتعاليمهم والتشيع لهم فبعضهم حسب المرأة آلةً لخدمة الرجل وبعضهم عدّها ملكاً لهُ في حياتهِ ومماتهِ وقسمٌ منهم اخرجها من نوع الانسان وادرجها في عداد الحيوان

هذه امة الهنود تقول ان شريعتها المنسوبة الى برهما[1] اله الآلهة تقضي على المرأة اذا مات زوجها ان تُدفن او تحرق معهُ حيّةً وهي مسرورة مختارة غير مضطرّة . وان أبت عاشت اسوأ عيش ونالها اعظم ذلّ والتحفت بأردية البؤس والعار الى منتهى الادهار

والهنود انفسهم يقولون ان للزوج حقّاً ان يتخذ ما شآء من النسآء عشرات او مئاتٍ على ان تكون الاولى منهنّ الزوجة الشرعية وتحسب الباقيات بمثابة السراري والخادمات

وهكذا قل عن الصينيين وغيرهم من الامم التي تفتخر بشرائعها ونواميسها وعوائدها وهم يُعدّون بمئات الملايين من الخلق . فيا للعجب من غوتاما[2] وبوذا وزرادشت وكنفوشيوس ومانى وغيرهم كيف رضوا

(١) هو المعبود الاول والاكبر عند الهنود وكثيراً مما يجعلونهُ اسماً للاقاليم الثلاثة المؤلف منها ثالوث الهنود وهي برهما ووشنو وسيوا والثلاثة عندهم اله واحد يظهر بثلاثة مظاهر فيسمى في كل منها باسم ولذلك يمثلونهُ بثلاثة رجال جالسين الواحد بجانب الآخر وكل اجسامهم ووجوههم عيونٌ تنظر الى الكون من جميع الجهات

(٢) غوتاما او سقياموني اسمان لمسمى واحد . ومعنى غوتاما الذي يقتل الحواس ومعنى سقياموني سقيا الناسك وسقيا اسم اسرتهِ ويراد بهما شخص اردهاشيدي مؤسس الدين البوذي وهو من اهالي بلدٍ يُدعى كابيلا على مقربة من نيبول نشأ هذا الرجل في القرن العاشر قبل الميلاد على ارجح الاقوال واسس دين بوذا

مع تفانيهم على اصلاح النوع البشري وتهالكهم على الاستئثار بالسيادة

الذي يدين بهِ الصينيون واليابانيون والسيلانيون والمغول والتتر واهالي سيام وبورما وغيرهم على اختلاف بينهم في بعض العقائد والشعائر

نشأ غوتاما من اسرةٍ ملكية وكان غنيًّا وبعد ان انغمس في ملاذ الدنيا ونعيمها حيناً من الدهر قيل تسعاً وعشرين سنة هجر الرغد والرفاهية ونبذ المجد والسعادة وعاش منفرداً ثم ادعى النبوّة او الالوهية قائلاً انهُ ولد من عذراء تحت ظل شجرة وبعد ان بدأ بتعاليمهِ باربعة اشهر اجتمع اليهِ خمسة مريدين (او تلاميذ) وفي نهاية العام صاروا الفاً ومئتي رجل ولم يبلغ آخر حياتهِ حتى جاوز عداد تابعيهِ الملايين . وهم الآن اي بعد تسعة وعشرين قرناً من ظهورهِ يربون على اربعمائة مليون . وتعدُّ تعاليمهُ اصلاحاً وتعديلا للديانة البرهمية التي كانت قبلهُ كثيرة الانتشار في الشرق الاقصى

وقد سادت البوذية - مع كونها تفوق الادراك البشري - بالوعظ والانذار لا بالسيف فهي من هذا القبيل تضارع الديانة المسيحية . وقد تأسست مثلها على جحد الذات وايثار البتولية ولها اديار ورهبان وراهبات ويدّعي رجالها اجتراح العجائب واتيان المعجزات . وقد صادف دعاتها في القرون الاولى ما صادف دعاة الدين المسيحي من المناصبة والاضطهاد فكانوا يعذَّبون ويُقتَلون ويُطردون من مواطنهم . ومع كل ذلك فقد تغلبوا على تلك القوى والعناصر المناهضة ولم يبالوا بما لديهم من الصعوبات والمخاطر ممهدين ما اعترض في سبيلهم من العقبات الكؤود حتى نشروا هذا الدين في اطراف شرقي آسيا على اساسٍ ابديٍّ متين . وهم اليوم اكثر عدداً من اصحاب اعظم اديان المعمورة من قطب الى قطب

واما بوذا فهو اسمٌ هنديٌّ معناهُ عالم او حكيم وهو علَمٌ لمعلّمين من البوذيين اتخذهم الهنود آلهةً وهم يعتقدون انهُ ظهر عددٌ لا يحصى من البوذات لينيروا العالم ويهدوهم الى الحق وفي جملتهم غوتاما المارّ ذكرهُ الذي يعتقد البعض

الابدية على الامم ان يبنوا شرائعهم التي لايخلو بعضها من الحكمة

انهُ تجسُّدٌ تاسع لوشنو الاقنوم الثاني لبرهما وقد قالوا انهُ ولد من عذرآء اسمها مايا وانها حبلت بهِ بحلول شعاعٍ من نور ذي خمسة ألوان وان معجزاتٍ كثيرة تمَّت حال ولادتهِ من جنب امهِ الايمن • وهم يزعمون ان معبود الحب والخطيئة والموت ويسمونهُ المارا جرَّ بهُ طويلاً فانتصر عليهِ متغلباً على سحرهِ واهوالهِ بسلاح النسك والتقشف والصوم • وانهُ بعد جلوسهِ في ظلال التينة المقدسة واستوآئهِ على عرش المعرفة ذهب الى قرب نهر الكنج وهناك وجد تلاميذهُ الخمسة الاولين ومنذ ذلك الحين اخذ يعظ الناس ويرشدهم في القفار بلغاتٍ مختلفة ناشراً تعاليمهُ الجديدة المؤسس عليها دين بوذا وقد مارس اعمالهُ هذه مدة اربع وخمسين سنة متجولاً في اقطارٍ كثيرة وابتنى ديراً عظيماً منهُ خرج اكثر كتب البوذيين المقدسة • ولما مات بعد ان ناهز الثمانين من عمرهِ حدث اضطرابٌ عظيمٌ في الاكوان وخوارق في الطبيعة . ولما أُعدّ الوقود لاحراق جثتهِ عقب موتهِ بثمانية ايام تعذر اشعالهُ بالوسائط العادية حتى ظهر لهيب التأمل من صدرهِ فافنى جثتهُ . وقد اختلف البوذيون كثيراً في تاريخ وفاتهِ وكان الفرق نحو الفي سنة . واقرب تاريخ يعوّل عليهِ هو السيلاني وهذا التاريخ يجعل وفاتهُ سنة ٥٤٣ قبل المسيح . ومن تقاليد تابعيهِ ان دار العقاب مختلفة الدركات فيها مئة وست وثلاثون جهنماً وان المرأة هنالك تُطرَح في بحيرة من الدمآء او تقع بين الافاعي النارية او تقلى بالزيت في اناء من الحديد

واما زرادشت فهو مشترع الفرس والمادويين القدمآء ونبيهم الوحيد . ادعى انهُ مرسل من السمآء الى قشتشب بمدينة بلخ فدخل عليهِ وفي يدهِ اناءٌ فيهِ نارٌ بلا حطب ولا بخور ولا دخان وقال لهُ « انني نبيٌّ مرسل اليك لاريك سبيل الله وهذه النار التي بيدي من الفردوس اعطانيها الله وقال لي خذها فان فيها صورة السمآء والارض . فخذ مني الدين الحق واستنر بهِ ودع غرور الدنيا » وكانَ معهُ كتب زعم ان الله كتبها اسمها زنداوشتا وهي تتضمن اسرار الديانة التي يدعو اليها

والاصابة والعدل على هذا الاساس الفاسد الموضوع على التحامل وعدم

زرادشت المذكور . وهو مولود بالريّ او في جوار بلخ في المئة الثانية عشرة قبل المسيح وقيل في اواسط المئة السادسة. وقد وضع ديناً يُعدّ من اصح اديان الاقدمين واصول هذا الدين مثبتة في كتابٍ لهم قديم جدّاً أُلّف قبل ان هجر المادويون وطنهم الاول وقبل ان عرفوا الكتابة . وكانت عقيدتهم الاصلية مبنية على عبادة المادة كأن الله ذاتهُ فيها ونشأ عن تلك العقيدة عبادة الاوثان التي كانت منتشرة بين كل الامم العظيمة اذ ذاك . ولكن زرادشت لم يسلم بتلك العقيدة فعمد الى اصول ذلك الدين فاصلحها بقولهِ « ان المعبود ينبغي ان يكون ذاتاً مجرّدة عن المادة ومتسلطاً عليها » وقال «انهُ يوجد روح صالح خلق الانسان وكل ما يتمتع بهِ وسماهُ ارمُزد واثبت لهُ كل الصفات السامية والافعال المحمودة وجعل لهُ جنوداً تخدمهُ كالملائكة وهو عندهُ اله الخير . ثم لما رأى هو او خلفاؤهُ ان الشر كثيراً ما يستولي على الخير ويفسدهُ قال بوجود الهٍ للشر اسمهُ اهرمان لهُ جنود واعوانٌ اشرار يسعون بافساد ما يصنع اله الخير ويحوّلون المنافع الى مضار والصلاح الى فساد . وان ليس في وسع اله الخير ان يميت اله الشر ويقوى عليهِ . وبهذا الاعتقاد الاخير أُفسد الدين الزرادشتي وصار ثنائياً بعد ان كان في حالتهِ الاولى من اقرب الديانات القديمة الى التوحيد . وهو يشبه ديانة اليهود من حيث رفض الاصنام والقول بوجود روح صالح هو الله وروح شرير هو الشيطان الا ان اليهود لا يعتقدون ان للشيطان قدرةً كالاله ولا انهُ مختارٌ فيما يفعل على رغم الروح الصالح

والزرادشتيون يزعمون ان الاموات يمرّون على صراطٍ منصوب من جبل البرج الى الجنة مقر الاله ارمُزد فيسقط الاشرار منهم في جهنم وتعذبهم الابالسة هناك عذاباً اليماً وفي آخر الايام تضطرم الارض بنجم من ذوات الاذناب فتشتعل وتذوب فينصبُّ ذوبها في جهنم ومعهُ الاشرار الذين يكونون على الارض فيُسلَقون ثلاثة ايام بلياليها حتى يطهروا من ارجاسهم ثم يعرجون الى السماء ومعهم الابالسة

رعاية الحق مع انهم يعلمون ان ذلك موجب لشقآء البشر ومخالفٌ كل المخالفة لناموس النمو والعمران (ستأتي البقية)

وزعيمهم اهرمان اذ يكونون قد تطهروا جميعاً فيحلون في مساكن النور ونعيم الابرار. وهذا نصّ قانون الايمان عند الفرس بعد ان فسدت ديانتهم باختلاطهم مع المجوس

«نؤمن باللهٍ واحدٍ خالق السماوات والارض والملائكة والشمس والقمر» «والنجوم والنار وكل الاشيآء. اياهُ نعبد ولهُ نسجد وبهِ نستعين. الهنا لا وجه لهُ» «ولا شكل ولا مكان محدود ولا مثيل لهُ ولا يستطاع وصف مجدهِ ولا تدرك» «عقولنا كنههُ. لهُ الف اسم واسم ولكن اسمهُ الاول ارمزد اي الروح الحكيم وعند» «ما نعبدهُ نستشفع ببعض خلائقهِ كالشمس والنار والمآء والقمر. وقد علّمنا نبينا» «زرادشت ان الله واحد وهو نبيُّهُ وان نؤمن بالاوِشتا (كتب الزنداوشتا)» «وبجودة الله وان نستسلم لمشيئتهِ ونتبع اوامرهُ ونفعل خيراً ونتكلم بما هو حسن» «ونصلح ضمائرنا ونياتنا ونصلي خمساً كل يومٍ ونؤمن بالحساب وبانهُ يكون في الرابع» «بعد الموت وان نرجو السمآء ونخشى جهنم ونؤمن بالبعث»

وقد لبثت هذه الديانة سائدة في بلاد الاكاسرة حتى ظهر ماني الذي اباح الاشتراك في النسآء والاموال فانتشر مذهبهُ زمناً تداعت فيهِ اركان المملكة الفارسية لما انبثّ فيها من مفاسد المبادئ المانوية حتى اذا قام انوشروان العادل وكان حانقاً على ماني لانهُ تجرأ على مشاركة ابيهِ في امهِ وهو صغير لا قدرة على معارضة ابيهِ الملك فيما يفعل اهدر دم المانويين جملةً واعاد الدين المجوسي المبني على قواعد زرادشت وكانت البلاد قد انتهت الى حالةٍ سيئة فاصلحها بعض الاصلاح ودامت بعدهُ يتنابها الضعف بما دبّ في جسم الامة من سموم تعاليم ماني حتى افتتح المسلمون البلاد على عهد يزدجرد وذلك سنة ٦٥١ مسيحية فدان اكثر الاهلين بالاسلامية

وتشتت الباقون في اطراف الارض . ولا يزال حتى اليوم في بلاد الهند وفي انحآء ايران نحو سبعين الفاً منهم وهم محافظون على النار المقدسة المقتبسة من نار زرادشت المحكي عنها وهم شديدو الحرص على عقائد اسلافهم وتقاليدهم . وهم في الهند ارقى مدنيةً واكثر تفنناً واقتداراً من جميع الاهالي ولهم صحف ومجلات ولنسآئهم حرية الظهور وقد نبغ منهنَّ كاتباتٌ وشاعرات . اه

واما كنفوشيوس فهو فيلسوف ومصلح صينيّ شهير فضَّلهُ بعضهم على سقراط اليوناني . ولد في ايالة لو من بلاد الصين سنة ٥٥١ قبل المسيح على عهد كورش الفارسي و بعد ان خاض عباب السياسة حيناً من الدهر واجاد واحسن في كل وظيفة تولاها حتى بلغ منصب رئاسة الوزرآء وشى بهِ حاسدوهُ والحسد عدوٌّ كل نابغةٍ فاضل فعزل من منصبهِ واذ ذاك بارح بلادهُ وذهب باصحابهِ ومريديهِ يجول في الاقطار واعظاً منذراً ومعلماً مرشداً . ولما بلغ السنة السادسة والثمانين عاد الى موطنهِ واكبَّ على التأليف في الفلسفة والحكمة واللغة الصينية والتاريخ واجاد فافاد وهو صاحب القاعدة الذهبية المشهورة « عامل الناس كما تحب ان يعاملوك » وتوفي سنة ٤٧٨ قبل الميلاد . وكان في آخر ايامهِ يتبرَّم من ظلم الحكام وجور الايام ويتأسف لعدم مؤازرة الناس لهُ اصلاحاً لاحوال البلاد . ولكن بعد موتهِ عرف معاصروهُ قدرهُ وناحوا عليهِ كثيراً واقاموا على ضريحهِ قبةً فخيمة يحجّ اليها الخلق حتى اليوم . والصينيون يعتبرون تعاليمهُ اعتباراً سامياً وعندهم ان من لا يدرس مؤلفاتهِ غير جدير بالترقي ونيل المناصب . وكنفوشيوس وان لم يعد من مؤسسي الاديان وواضعي الشرائع فان تعاليمهُ قد اصلحت كثيراً من اخلاق قومهِ وسننهم وعوائدهم فحسب مصلحاً وان لم يكن مشترعاً